ردود القرآن
على
ذوي الجحود والإنكار

(بحث محكّم)

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
أحمد بن أحمد شرشال الجزائري
أستاذ القرآن الكريم بكلية الشريعة
جامعة الكويت

دار الحرمين
بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للدار

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : 2004/3892

I.S.B.N. : 977-310-173-8

الناشر

دار الحرمين للطباعة

الإدارة : 72ش مصر والسودان حدائق القبة

ت: 8420392 محمول : 0123802856

الفرع الجديد : 5 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

ت : 5145359 محمول : 0105473568

المطابع : ش 112 - منشية السد العالي - جسر السويس

محمول : 0101009352 /ف : 2979735

كلمة الناشر

بسم اللَّه ، والحمد للَّه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المُشَرَّف بالشفاعة ، المخصوص ببقاء شريعته إلى قيام الساعة ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وأتباعه الأخيار صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار .

وبعد :- فإن من دواعي الشرف والسرور أن تكون **دار الحرمين** أداة نشرٍ للنافعِ من العلوم وتراث الأمة المصون ، وإننا في هذا المقام إذ نشكر اللَّه تعالى ونشكر القراء الكرام أن أولونا ثقتهم باقتنائهم مطبوعات **الدار** ؛ فإن هذا لمما يزيدنا تمسُّكًا بالخط الذي انتهجناه من تيسير اقتناء المطبوعات النافعة بأسعار مخفضةٍ علاوة على حسن الإخراج ودقة المراجعة وجودة الطباعة ، وفوق هذا كله - وهو الأهم - عرض مطبوعات **الدار** قبل طبعها على المختصين والمؤهلين ممن يحسن النظر ليكون القارئ في مأمنٍ من خطإٍ لسنا نحن صانعوه ، فكانت منشوراتنا - وللَّه وحده الحمد والمنة - بديعة الإتقان صحيحة الأركان سليمةً من لفظة « لو كان » ، فالحمد للَّه الذي جعلنا عن تراث هذه الأمة ذابين وعلى كتب أهل العلم محافظين ، واللَّه ولي التوفيق .

دار الحرمين

ردود القرآن

على

ذوي الجحود والإنكار

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد للَّه وحده ، والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فإني لا أزال - بعون الله وتوفيقه - أواصل الحديث عن بعض الجوانب المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه ضمن :

سلسلة الدراسات القرآنية[1] ؛

فالقرآن معينه لا ينضب ، ولا يخلق على كثرة الرّد ، ولا تنقضي عجائبه .

• **وفي هذه المرة ؛ أبين بحول الله وقوته** : علمًا جليلًا من بين علوم كثيرة حواها كتاب الله عز وجل ، ولم يفطن إليه كثير من الناس سوى ما أشار إليه الإمام عبد الحميد بن باديس ، **وأعني به** : «ردود القرآن

(١) «**مجلة المرابطون**» العدد الثاني والثالث . مجلة علمية يصدرها : «**معهد العلوم الإسلامية والعربية**» بموريتانيا .

على ذوي الجحود والإنكار» ، فقد حفل كتاب الله تعالى بهذا النوع من علوم القرآن .

ولم يترك القرآن تلك الشبهات والاعتراضات والاقتراحات والطعون التي أثارها المنكرون والجاحدون بدون جواب ؛ بل أنزل الله تعالى آيات بينات لتفنيدها ودحضها بالأدلة والبراهين المنوعة وإزالة آثارها من نفوس المؤمنين ، ولقنهم الإجابة الشافية لشبه المعاندين من المشركين واليهود والنصارى .

◌ وقد سمَّيت هذا البحث بعنوان :

«ردود القرآن على ذوي الجحود والإنكار»

والله أسأل : العون والتوفيق والرشاد .

○ أسباب اختياري لهذا البحث :

وسبب اختياري لهذا النوع من علوم القرآن : رغبتي وشغفي بالقرآن وعلومه ، ومحاولة التفقه فيه ؛ بالتأمل والتدبر ، وقد خلت كتب علوم القرآن من هذا اللون .

فلم يذكره جلال الدين السيوطي (ت : 911هـ) ضمن الأنواع التي

ذكرها في كتابه : «**الإتقان في علوم القرآن**» ؛ حيث ذكر ثمانين علمًا ، ولم يكن من بينها ، كما لم يذكره في كتابه : «**التحبير في علم التفسير**» ؛ حيث ذكر أكثر من مائة علم .

كما لم يلتفت إليه السابقون عليه : كالإمام بدر الدين الزركشي (ت : 794هـ) في كتابه : «**البرهان في علوم القرآن**» .

كما لم يذكره جلال الدين البلقيني في كتابه : «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**»[1] .

○ **ومن الأسباب التي حملتني على متابعة هذا البحث في كتاب الله** : هو أن بعض الناس أقحم ردود القرآن وبيانه ومناقشاته في : **باب الجدل** ؛ ثم لما رأى تشابهًا بين هذا الجدل القرآني والجدل المنطقي للمتكلمين وغيرهم ؛ راح يثبت وينفي ما يراه مناسبًا للجدل القرآني ، وينزهه عن قواعد المتكلمين وقياساتهم[2] .

ومن ثَمّ ؛ قَوِيَ عزمي وحزمي على التأمل في كتاب الله ؛ لبحث

---

(١) **انظر** : «**التحبير في علم التفسير**» للسيوطي ، و«**البرهان في علوم القرآن**» للزركشي .

(٢) «**مناهج الجدل في القرآن الكريم**» د. زاهر الألمعي ، و«**استخراج الجدل من القرآن الكريم**» لناصح الدين .

هذا الموضوع ، أن القرآن كتاب هداية وإرشادًا وتوجيهًا ، وما جاء فيه من ردود ومناقشات للمعاندين والمنكرين هو نوع من أنواع البيان القرآني فحسب ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وهُدًى ومَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، وإذا وجد فيه ما يفهم منه الجدل ، فذلك غير مقصود منه جدل المناطقة والمتكلمين ، كالآيات التي جاءت موزونة على نمط الشعر ، وكالآيات التي جاءت مسجوعة ، **ومع هذا** ؛ لا يقال بسبب وجود هذا أو ذاك : إن القرآن من قبيل الشعر أو من قبيل السجع ، فكذلك الآيات التي جاءت فيها براهين وأدلة ، ووافقت مناهج الجدل ، فإننا لا نسميه الجدل القرآني ، وإنما هو بيان وتفسير وردود ؛ **لأن الجدل** : يقوم على المعاندة والمخاصمة والمنازعة والمغالبة[2] ، ولا شك أن هناك حالات تستدعي ذلك ، ولكن ستظل هذه الأحوال النادرة مندرجة تحت البيان القرآني ، وهو أوسع مدلولًا من الجدل ، وأعم من جدل المتكلمين .

○ **فأدلة القرآن وردوده** ؛ يفهمها عامة الناس وينتفعون بها ، ولا يكلفون أنفسهم تدقيق الفكر وتحقيق النظر ، وإن النبي ﷺ والصحابة من بعده بأجمعهم ما سلكوا مناهج الجدل في الدعوة والإرشاد

---

(١) [الآية : ١٣٨ : آل عمران] .

(٢) «**مفردات الراغب**» الإصفهاني (١٠١) .

والتوجيه .

قال رشيد رضا : «الجدل استعمل في لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة ، وهو محمود ؛ إن كان للوقوف على الحق ، وإلا فمذموم وقد وردت عدة أحاديث وآثار في ذم الجدل والنهي عنه ، منها : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[1] .

○ **ردود القرآن وبيانه** تختلف عن جدل المتكلمين في الأسلوب والعرض وتباين سائر الأشكال المنطقية والطرق الجدلية المعقدة ، فحجج الله وبراهينه واضحة جلية يفهمها المخاطب ، ولا تحتاج إلى كد الذهن وإعمال الفكر ؛ ولذلك : لم يأمر الله بالجدل إلا وهو مقيد بالأحسن ﴿ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[3] .

إن القرآن سلك في تقرير عقيدة التوحيد على طرق تصريف الآيات وتفصيلها ، وضرب الأمثال ، وعلى البيان بمختلف أنواعه . قال تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[4] وقوله : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا

---

(١) **انظر** : «المنار» (٢٢٦/٣) ، (٩٦/١٢) ، «**شرح الطحاوية**» (٢٧/٢) .

(٢) [الآية : ١٢٥ : النحل] .

(٣) [الآية : ٤٦ : العنكبوت] .

(٤) [الآية : ٦٥ : الأنعام] .

الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[1] .

قال الألوسي : «أي : نحولها من نوع إلى آخر من أنواع الكلام ، تقريرًا للمعنى ، وتقريبًا إلى الفهم ؛ لكي يعلموا جلية الأمر ، فيرجعوا عما هم عليه»[2] .

ولقوله تعالى : ﴿ ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[3] .

أهمية هذا الموضوع في القرآن الكريم :

يبدو لي أن أهمية هذا العلم أكثر من أهمية بعض العلوم التي حواها كتاب : «**الإتقان**» للسيوطى ، وكتاب «**البرهان**» للزركشى ، وغيرهما ، ولو نبه جلال الدين السيوطي لهذا وفطن له ؛ لجعله على رأس هذه العلوم ، في الوقت الذي نراه أدخل أنواعًا في علوم القرآن صلتها بالقرآن ضعيفة . مثل النوع السادس وهو الأرضي والسمائي[4] .

وصلة هذا النوع بالقرآن كصلة الفرع بالأصل ، بل إن علاقته بالقرآن كعلاقة الجزء بالكل ، وقد أخذ حَيّزًا كبيرًا من كتاب الله عزّ وجلّ .

---

(١) [الآية : ٩٨ : الأنعام] .
(٢) «**روح المعاني**» (٥/٢٦٤) .
(٣) [الآية : ٣٣ : الفرقان] .
(٤) انظر : «**الإتقان**» (١/٤٩) .

وقد نص القرآن على هذا النوع من البيان في قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وهُدًى ومَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

فهذا النوع ؛ من ردود القرآن قد استقل ببيانه القرآن قبل أن يبينه النبي ﷺ ، ولم يكله إلى أحد ، فمعرفة هذا الباب أكيدة .

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس : «وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن ، يتحتم على رجال الدعوة والإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية ومزيد دراية وخبرة»[2] .

إن القرآن ؛ تولى الردّ على مفتريات ذوي الجحود والإنكار ، وأجاب عن اعتراضات المشركين واقتراحاتهم ، وردود القرآن أبلغ الردود وأصدقها وأحكمها ، لا يتطرق إليها الخلل والشك ، وقد تضمنت هذه الردود حججًا عقلية ينقاد لها عقل المخاطب ، سواء أكان من المؤمنين بهذا القرآن أم كان من غيرهم ، **وهي** - على وجازتها وسهولتها ووضوحها تفحم الخصم العنيد ، وتلجم المكابر العنيد .

○ **ثم إن الشبهات** التي أثارها المشركون ويثيرها أعداء الإسلام من وقت نزول القرآن إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

---

(١) [الآية : ١٣٨ : آل عمران] .

(٢) «**تفسير ابن باديس**» (٢٤٤) .

هي في جملتها متشابهة ؛ لا تخرج عن شبه السالفين ومنكراتهم ؛ لأن المكذبين والجاحدين في كل زمان ومكان يتشابهون في الطباع كما بَيَّنَ القرآن الكريم : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[1] . وقال جل وعلا : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[2] ، وقال جل وعلا : ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ﴾[3] وكذلك يفعل هؤلاء الجاحدون والمنكرون فعل آبائهم كما بين القرآن الكريم : ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[4] ، وقال : ﴿ وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[5] .

والقرآن لم يترك هذه الشبهات والأقاويل والاقتراحات وَإِنَّمَا فندها وأبطلها بالحجة والبرهان ؛ تحقيقًا لوعد الله الصادق ﴿ ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[6] .

قال جلال الدين السيوطي : «عن أبي حاتم قال : ﴿ ولا يَأْتُونَكَ

---

(١) [الآية : ١١٨ : البقرة] .
(٢) [الآية : ٤٣ : فصلت] .
(٣) [الآية : ٨١ : المؤمنون] .
(٤) [الآية : ٣٥ : النحل] .
(٥) [الآية : ٢٣ : الزخرف] .
(٦) [الآية : ٣٣ : الفرقان] .

بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1] .

◍ فيجب علينا عند ورود أي شبهة من كل ذي ضلالة أن نفزع إلى آي الذكر الحكيم ، فسنجد الرّد الوافي والبيان الكاشف .

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس : «ولا نحسب شبهة ترد على الإسلام إلا وفي القرآن العظيم ردّها بهذا الوعد الصادق»[2] .

يقصد بالوعد الصادق قوله تعالى : ﴿ ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ .

إذا أخلصنا القصد وأحسنّا النظر في كتاب الله تدبرًا وعملًا : نجد الردود الوافية والحجج الواضحة لرد كل شبهة وإزالة كل باطل .

«إذا تتبعت آيات القرآن : وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شبه الضالين واعتراضاتهم ، ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف ، في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه»[3] .

○ وقد سجل القرآن الكريم عددًا وفيرًا من الأحداث والوقائع والاقتراحات والاعتراضات للمشركين وغيرهم من اليهود والنصارى ،

---

(١) «**الإتقان في علوم القرآن**» (٨٩/١) .

(٢) «**تفسير عبد الحميد بن باديس**» (٢٤٤) .

(٣) المصدر نفسه

ورد عليها وأبطلها ، وجاء بالبيان الشافي ، والمتأمّل في كتاب الله يجد أن هذه الأباطيل تنوعت واختلفت ؛ فإن المشركين جاءوا بكلمات في حق الله تعالى وجاءوا بكلمات في حق ملائكته ، وجاءوا بكلمات في حق النبي ﷺ ورسالته ، وغير ذلك من الضلال المبين .

ولسوف - بإذن الله وتوفيقه - أتتبع هذه المنكرات والشبهات كما سجلها القرآن ، وأتتبع هذه الردود والبراهين كما وضحها القرآن وَبَيَّنَها .

بيان منهجي في هذا البحث

○ **ولبيان كل هذا** ؛ سيتناول بحثي لتتبع ردود القرآن الكريم على المنكرين والجاحدين المباحث الآتية :

1. ردود القرآن في قضية التوحيد .
2. ردود القرآن في قضية الملائكة .
3. ردود القرآن في النبوة والرسالة ؛ ويندرج تحتها عدة مباحث .
4. ردود القرآن في القضاء والقدر .
5. ردود القرآن على المنكرين لليوم الآخر .
6. خاتمة البحث ونتائجه .
7. فهرس المصادر والمراجع

ردود القرآن على ما جاءوا به في حق الله تعالى :

◉ **أبدأ بأعظم حدث** سجله القرآن للمشركين وغيرهم ، وحفل بالردّ عليه بجميع الوجوه ؛ **وهو : إثبات توحيده** عزّ وجلّ وتنزيه الله سبحانه وتعالى عما نسبه إليه المشركون والجاحدون .

وأول الردود ؛ التي أخذت حيّزًا كبيرًا في كتاب الله : **تثبت إفراد الله بالعبادة** ، وتنزيهه عما لا يليق به جل وعلا .

قال الشيخ الحافظ الحَكَمي : «والقرآن كله من أوله إلى آخره : في تقرير التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم» .

وقال ابن القيم : «وغالب سور القرآن ؛ متضمنة لأنواع التوحيد ، بل كل سورة في القرآن»[1] .

○ **وأعظم كلمة قالها المشركون** في حق الله تعالى : أنهم نسبوا إليه **الولد** ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

---

(١) «**معارج القبول**» (١/٢٥) ، و«**شرح الطحاوي**» (٤٢) .

وقد اشترك في هذه الفرية . وهذا البهتان : اليهود والنصارى والمشركون ، فقد حكى القرآن عن هؤلاء بعض الأقوال الباطلة وأجاب عنها وفندها ، فقال : ﴿ وقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ ولَدًا ﴾[1] ، وقال أيضًا : ﴿ وقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ ولَدًا ﴾[2] ، ومثلها في «سورة الأنبياء»[3] .

والذين قالوا ذلك هم المشركون واليهود والنصارى :

فقد حكى الله عن اليهود أنهم قالوا : ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ .

وحكى عن النصارى أنهم قالوا : ﴿المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ .

وحكى عن المشركين أنهم قالوا : «المَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ» .

فذكر الله مفتريات اليهود والنصارى ، وجمعهم في هذه الآية : ﴿ وقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾[4] .

وذكر مفتريات المشركين في هذه الآية : ﴿ وخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[5] .

---

(١) [الآية : ١١٦ : البقرة] .
(٢) [الآية : ٨٨ : مريم] .
(٣) [الآية : ٢٦ : الأنبياء] .
(٤) [الآية : ٣٠ : التوبة] .
(٥) [الآية : ١٠٠ : الأنعام] .